الفصل الاول

مدخل الى الدراسة

مقدمة :

الأسرة هى الوحدة الاساسية للمجتمع ، بقدر ما هى نسق اجتماعى متماسك بنظام من العلاقات والادوار بين أعضاء الاسرة تتسم بالخصوصية والاستقرار لفترة طويلة ، كما تتسم بمقومات سيكولوجية فريدة كالحب والتضامن والتفاهم والصراحة ، فضلا عن توافر سلسلة من الحقوق والواجبات . وينقل المجتمع ثقافته منخلال التنشئة الاجتماعية التى تقوم بها الاسرة ؛ والاسرة هى الوكالة الرئيسية التى تنقل الى ابنائها المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التى تسود المجتمع بعد ان تترجمها الى اساليب عملية فىالتنشئة الاجتماعية .

والاسرة لذلك هى البيئة والمناخ الملائمين لنمو الشخصية ، حيث يعيش الطفل يرى ويجرب ويستكشف ويشارك ويتمثل ويتغير ، فيتعلم وينمو .ويزخر علم النفس بالعديد من الدراسات والبحوث ، التى لسنا بسبيل حصرها ، التى تؤكد على دور الاسرة وعلىالاتجاهات والاساليب الوالدية فىتنشئة الابناء وذلك فى نمو الشخصية السوية ؛ كما تؤكد هذه الدراسات من ناحية اخرى على ما للظروف الاسرية غير الصحية من تأثير بالغ الخطورة على اضطرابات الشخصية والسلوك .

ويتجه ذهننا عادة عند دراسة حالة من الحالات الى بحث أنواع العلاقات التى ينشأ فيها الفرد وبخاصة فى طفولته . وأهم هذه العلاقات علاقاته مع والديه ، وأهمها جميعا علاقته مع أمه . وهذه العلاقات تتغير فىمجموعها تغيرا طبيعيا بحكم نمو الطفل ، وقلة حاجته بالتدريج للاعتماد على والديه . وتتغير كذلك بحكم ما يحدث فى بيئته من تغيرات ترجع الى ميلاد اخوة له ،أو الى تغير العلاقات بين والديه أنفسهم ، أو الى تغير

والديه نحوه بسبب تغيرات فى ظروف الاسرة ، أو غير ذلك (عبد العزيز القوصى ، ١٩٧٠ : ١٧١) .

ويبين ملاح مخيمر (١٩٧٢ : ٢٣٦ ، ٢٣٩ - ٢٤١) أنه فى هذه العلاقات داخل الأسرة تنشأ النماذج الاولى لاستجابات الطفل بما فى ذلك تصوراته واتجاهاته ومعتقداته وعاداته . ولكى تقوم الاسرة بدورها ينبغى ان توفر الحب والأمن . وفى ذلك يؤكد ملاح مخيمر على اهمية الموقف الاوديبى بالنسبة الى الاطفال فى الاسرة ، وعلى أنه لا ينبغى ان يكون الطفل بالنسبة الى الابوين تعويض لنرجسيتهما ، بل ينبغى أن تكون نظرتهما الى الطفل على انه كيان مستقل له امكاناته واتجاهاته الخاصة ، وعلى انه ينبغى ان يلقى منهما الحب والتقبل والامن ، وتعلم تحمل المسئولية ، والاستقلالية على نحو متدرج .

والواقع ان علم النفس يزخر بدراسات وبحوثعديدة تتناول تأثير الاسرة والعلاقات الاسرية والاتجاهات والممارسات والوالدية على نمو شخصية الطفل . من هذه الدراسة ، على سبيل المثال ، تلك الدراسات المتعمقة التى قام بها " لانجدون وستاوت " Langdon and Stout (١٩٥١) ،على عينات من أطفال يتصفون بحسن التوافق ، وينتمون الى اسر ذات احجام مختلفة ومن مستويات اجتماعية وثقافية متباينة . وقد تبين ان هناك عاملا عاما مشتركا يخبره هؤلاء الاطفال فى علاقتهم بوالديهم هو الحب والتقبل الابويين. ومن خلال العلاقات الاسرية ، يتعلم الطفل مسايرة معايير الجماعة وقيمها وتقاليدها ، كما يتعلم التعاون مع الاخرين والاخذ والعطاء معهم . ولا يقتصر تأثير هذه العلاقات على النجاح المدرسى للطفل فحسب ، ولكن أيضا على نجاحه فى مواقف الحياة المختلفة ، ومنها حياته المهنية فيما بعد. ويتأثر بوضوح درجة توافق الطفل ونضج علاقاته الاجتماعية خارج المنزل بنمط العلاقات الاسرية وبالمناخ السائد فى الاسرة (عن كافية رمضان وفيولا الببلاوى ، ١٩٨٤ : ١٧٩)

ولقد تبين من بعض الدراسات ان الاتجاهات والممارسات الوالدية المنافية للمبادىء النفسية والتربوية فيرعاية الابناء تترك آثارها السلبية على نموهم فى الجوانب المختلفة من خصائص الشخصية عندهم. ومن هذه الدراسات ما تبين من ان الاتجاهات والممارسات الوالدية التسلطية تتضمن تأكيد الوالدين على استخدام السلطة وعلى الاعتقاد فى جدوى الاسلوب الاوتوقراطى فى تنشئة الابناء . وهذا النمط يخلق فى الغالب اطفالا يتسمون بالخنوع والاذعان وبالاحساس بعدم الامان وبعدم القدرة على الاعتماد على الذات ، كما يتسمون بنقص كفاءاتهم الاجتماعية وبأنهم أقل مكانة اجتماعية وسط رفاقهم ، واكثر نزعة الى الانسحاب أو العزلة الاجتماعية كما قد يظهرون عدوانية علىغيرهم من الاقران ، واللامبالاة وعدم الاعتبار للاخرين ، كما انهم أقل حساسية للمديح أو التأنيب ، وذلك اذا قورنوا بأطفال فى أسر ديمقراطية (رادكى Radke ، ١٩٤٦ ؛ هوفمان Hoffman ، ١٩٦٣ ، موشر وموشر Mosher and Mosher ، ١٩٦٥) .

ومن ناحية أخرى ، تكشف الدراسات التى تناولت الاتجاهات والممارسات الوالدية المتفقة مع المبادىء النفسية والتربوية فى رعاية الابناء عن آثارها الايجابية فى نمو شخصيتهم . من هذه الدراسات ما يتعلق بتأثير الاتجاهات الوالدية وأساليب المعاملة الوالدية القائمة على ممارسة الديمقراطية والاستقلالية ، حيث وجد بعض الباحثين انها ترتبط بالنجاح الدراسى وبمستويات عالية من التحصيل الاكاديمى وبتوكيد الذات وكذلك بتقدير أقرانهم لهم (هوفمان وآخرون ، ١٩٦٠) .

وقد تناولت بعض الدراسات (عن كونجر وآخرين ، ١٩٧٠ : ٣٧٠ - ٣٧١) ، أثر الامهات على سلوك الانجاز عند الاطفال ، وحيث تبين ان الاطفال الذين تشيبهم امهاتهم وتشجعهم على محاولاتهم فى التحصيل والانجاز يكونون أميل الى الانغماس فىاللعب الموجه نحو الانجاز فى البيت وفى مدرسة والحضانة على السواء (أعنى انهم كانوا يعمدون الى التلوين واستخدام

الاصابع ، وعمل نماذج من الفخار وقراءة الكتب) . ومن الطريف هنا أن ملاحظة " الامهات اللائيشبن على الانجاز" كشفت عن أنهن يملن الى تجاهل التماس الطفل للمساعدة ولكنهن يقمن باثابة الطفل حين يلتمس الاستحسان على شيء فعله أو أنجزه. كذلك اظهرت عدة دراسات الاثار بعيدة المدى لما تقوم به الامهات من تشجيع مبكر لسلوك الاستقلال والانجاز عند الطفل. اذ تبين ان الاولاد الذين تعمد امهاتهم الىاثابة استقلالهم خلال السنوات الاولى (فكانوا يمدحونهم ويعبرون لهم عن الود) كانوا على قدر عال من الدافع الىالانجاز (كانوا يسردون قصصا تعكس الرغبة فى السيطرة والاقتدار والتمكن) ، حين بلغوا سن المدرسة .

وبالرغم من انه لا يمكن تجاهل دور الاب فىالحياة الاسرية وفى عملية التنشئة الاجتماعية للابناء ، وبالرغم مما تكشف عنه دراسة موسن Mussen (١٩٦٣) عن "تأثير العلاقة بين الاب والابن فى شخصية واتجاهات الابناء كما يظهر ذلك جليا فىمرحلة المراهقة" ، من أن الابناء الذين لم يتلقوا العطف الابوى كانوا أقل شعورا بالامن ، وأقل توافقا وأقل اندماجا ومشاركة فى المجتمع ، الا أن الام تكون فى مقدمة الموضوعات التى يميزها الطفل عن ذاته ،فتكون محورا أساسيا تدور حوله انفعالاته ، وبالاخص فى السنوات الاولى من عمره ، فيذكر كونجر وموسن وكيجان (١٩٦٤- ترجمة ١٩٧٠) بأن الام هى الشخص الاول الذى يبدأ الطفل فىالتعامل معه ، ويكون لهذا التعامل بما يميزه من مقومات سيكولوجية فريدة أثره البارز والمستمر فى نمو شخصيته فى مستقبل حياته .

يستعرض " ميدينوس وجونسون" Medinnus & Johnson (١٩٦٩ : ٣٠٤ - ٣١٢) بعض الدراسات المبكرة عن تأثير الام على الصحة النفسية للطفل ، مثل دراسات ريبل Ribble (١٩٤٣ ، ١٩٤٤) و"اسكالونا" Escalona (١٩٤٥) وغيرها من الدراسات ، وذلك من حيث ان الام هى مصدر مايسمى بالاستثارة الامومية maternal stimulation اللازمة للنمو السليم

للطفل . واذا افتقر الطفل الى أمومة سليمة (الحرمان الأمومي maternal deprivation) فانه سوف تنمو لديه ومنذ فترة مبكرة من حياته مشاعر نقص الثقة والاحساس بالتوتر والضيق وعدم الامان ، وكذلك الشعور بالاحباط وغير ذلك من الآثار النفسية .

واذا كانت علاقات الطفل باحدى والديه أو بكلاهما غير ملائمة ، فان أكثر التأثيرات ضررا على الطفل يأتى سوء علاقته بأمه . والسبب فى ذلك أن الطفل هو مع أمه اكثر مما هو مع ابيه ، ومما للام من تأثير اكبر من تأثير الأب . فالمشكلات السلوكية عند الاطفال تأتى فى الغالب من العلاقة بين الام والطفل أكثر مما تأتى من العلاقة بين الأب والطفل (مايير Meyer ، ١٩٥٠) . ويبدى الأطفال نفس الانماط السلوكية فى علاقاتهم الاجتماعية مثل تلك الانماط التى لاحظوها فى امهاتهم (بيشوب Bishop ١٩٥١) (عن هورلوك Hurlock ، ١٩٥٦ : ٥١٢ - ٥١٣) .

وتبرز دراسة " ونتربوتون" Winterbotton (١٩٥٨) تلك العلاقة الوثيقة بين اتجاهات الأمهات نحو تنشئة أطفالهن وبين نمو الشخصية لديهم وتكشف هذه الدراسة بصفة خاصة عن تأثير اتجاهات الامهات على الاطفال من حيث نمو الحاجة الى الانجاز need for achievement عندهم واكتساب خبرات التعلم القائمة على الاستقلال independence والاتقان mastery . كما أظهرت هذه الدراسة تأثير استخدام الامهات لاساليب من الاثابة (التعزيز الايجابى) لهذه الخصائص المميزة للنمو السوى لشخصية الاطفال كالانجاز والاستقلال ، والاتقان والكفاءة واعتبار الذات كما تتضح فى اظهار الطفل للتفاخر بقدرته على عمل الاشياء باتقان .

ان مكانة الأم فى حياة أبنائها وتأثيرها العظيم عليهم وعلى نموهم هى من طبيعة تلك العلاقة بينها وبينهم وما فيها من معرفة واتجاهات وانفعالات وممارسات . يحدد "سيد عثمان " (١٩٨٦ : ١٩٩ - ٢٠٢) الخصائص

المميزة للعلاقة الفريدة بين الام وطفلها ، وهى :

* المباشرة : فالعلاقة بينهما علاقه مباشرة بمعنيين : الاول معنى البدء أو الاولوية، فخبرات الطفل الاولى بالحياة ، بالبيئة من حوله تأتيه من خلال الأم ، والطفل كائن شديد الحساسية ، شامل الحساسية. وما يتعرض له من مؤثرات خارجية ، لا شك له أثر من نوع ما ، بعضه عرفه العلم ، وبعضه مازال مجهولا ، وبعضه الاخر لا يزال سرا من أسرار الوجود الانسانى .

أما المعنى الثانى للمباشرة فهو العلاقة بين الام بلا وساطة ولا وسائل، فهذا ما نجده بين الأم وطفلها من تواصل رهيف غاية الرهافة وفيه تفهم الأم طفلها فهما حدسيا ، كما يفهمها هو بالطريقة نفسها . هنا صورة غاية فى الصدق للتواصل .

* الخصوصية : وعلاقة الأم بالطفل علاقة فيها خصوصية ، لا بمعنى أنها علاقة مستورة ، محجوبة عن أنظار الآخرين ، لا بل هى علاقة خصوصية بمعنى انها علاقة خاصة جدا بين فردين ، فردان بينهما نوع خاص من العلاقة نوع متميز من الروابط ، انها نوع من الثنائية المنفردة ، أو الثنائية المتحدة ، أو الثنائية المتآحدة ، أو هى وحدة من أثنين ، أو أثنان فى واحد ، أنه نوع من الوجود الأنسانى ، ولا نقول الوجود الاجتماعى للأنسان ، فريد حقا ، بل أنه النموذج الأمثل ، وقد يكون الأوحد الذى يكون فيه فردان وكأنهما واحد ؛ فى هذه الثنائية المتحدة أو المتآحدة ، بين الأم وطفلها نجد كلا من الوجودين يتعامل مع الآخر تعاملا كليا ، تعامل ذات الأم الكاملة مع ذات الطفل الكاملة، وجود الأم كلها مع وجود الطفل كله بدنا ومشاعر وأحاسيس ، ظاهرا وباطنا ، تعاملا لا فصل فيه ولا تفصيل ولا تحليل . تلك خبرة استغراق كلى فى كل ، خبرة التقاء الأم بمعنى وجودها الحقيقى .

* التبادلية: وهى تبادلية فى التعامل والتفاعل ، وتبادلية فى العطاء ، ذلك لان العلاقة أو التعامل أو التفاعل بين عنصرى " الثنائى المتحد " أو " الثنائى المتآحد" ، من صميم خواصها أن عنصريها ينشط أحدهما الآخر، ويوجههه وينميه ،أن خبرة تفاعل الام مع طفلها فيها عطاء أغلى عطاء ، الا وهو التقاوهما بمعنى وجودها الحقيقى ، فهى اذ تعطى الحياة ، تعطيها الحياة، وهى اذ تصون الحياة ، تعليها الحياة ، وهى اذ تحسن الى الحياة تقدسها الحياة .

* الاستمرارية: فمهما تنوعت علاقة الأم بطفلها ، وتشكلت وتشابكت فانها علاقة مستمرة موصولة ، مدعمة بالتبادلية ، محصنه بالخصوصية مزوده بدماء متجددة من المباشرة ، هى روح الروح فى الاطار الانفعالى الاجتماعى المعرفى الذى ينمو فيه الطفل ويربو ، هذه الاستمرارية ضرورية لضمان التدفق المتصل لتيار الثقة والأمن والطمأنينة فى عميق وعى الطفل ، حتى يواجه الحياة ويواجه نفسه بيقين الثقة وانطلاقة الأمن وسكينة الطمأنينة .

ولعل تلك المكانة والاهمية الفريدتين للأم فى حياة الطفل وفى نمو شخصيته هى التى دفعت الباحثين الى الكشف عن حقيقة ومدى تأثير الأم فى الطفل ؛ فقد أبرزت دراسات " شافر وبايلى" Schaefer & Bayley (١٩٦٤) عن اتساق Consistency اتجاهات وسلوك الامهات فى التعامل مع الابناء من الطفولة المبكرة حتى ما قبل المراهقة ، ان الامهات اللاتى تم تقديرهن (بناءً على ملاحظة تفاعل الام مع طفلها) على انهن يزودن اطفالهن بالحب والعطف ، حصلن أيضا على تقديرات مماثلة فى تقبل الطفل وحبه عندما بلغ المرحلة من التاسعة الى الرابعة عشرة من العمر (بناء على مقابلة شخصية مع الأم) .

ولقد حلل بعض الباحثين بيانات وتواريخ حياة أعداد من الاطفال المشكلين والعصابيين ، حيث تبينوا أن أمهاتهم كانوا يعاملونهم معاملة تقوم على النبذ او الأهمال او القسوة اوغير ذلك من أساليب سوء المعاملة للاطفال children abuse (كونجر وموسن وكيجان، ١٩٧٠ : الفصل الحادى عشر) .

وتؤكد الدراسات والبحوث فى ميدان التنشئة الاجتماعية للاطفال وفى وظيفة الاسرة كوكالة للتنشئة الاجتماعية Socialization agency على أن تأثير الوالدين فى عملية التنشئة الاجتماعية للاطفال مشروط باتجاهاتهما نحو اطفالهما فى مواقف التنشئة المختلفة ، ولهذا فان مدى صحة أو سلامة تلك الاتجاهات هى التى تحدد اساليب التعامل مع الاطفال فى مواقف التنشئة، ولهذا قد تكون اتجاهات الام نحو مواقف التنشئة سالبة او خاطئة اوغير رشيدة ، الامر الذى يوجه عملية نمو شخصية الطفل فى هذا الاتجاه غير المواتى للنمو السليم .

ومما لا يمكن اغفاله فى تناولنا للأمومة علاقتها بخروجها الى العمل وتأثير ذلك على الابناء ،وتلك من القضايا الاساسية فى دور الامهات واتجاهاتهن فى تنشئة الابناء ما يتعلق بالامهات العاملات . فقد ظلت البحوث لفترة من الوقت وهى تطرح قضية تأثير عمل الام خارج المنزل على أبنائها ،تركز على الدور" التعويضى" للأمهات من حيث مقدار الوقت والاهتمام الذى يمكن لهن أن تعطيه لأبنائهن . ولكن الكثير من البحوث الحديثة تركزعلى الجوانب الايجابية لعمل الام بالنسبة للاسرة ككل . فالأم تخبر فى الغالب احساسا بتقدير الذات لانها تشعر بأنها اكثر كفاءة ، واكثر امنا ، واكثر مسئولية فى حياتها . وبصفة عامة ، بقدر ما تكون المرأة اكثر شعورا بالرضا من حياتها ، بقدر ما تكون أكثر فاعلية كوالدة (هوفمان Hoffman ،١٩٧٩).

ان الآباء والأمهات يحملون معهم من الخبرات ما يرجع الى طفولتهم وفى أسرهم ومع والديهم ، ومنها ما يرجع الى خبراتهم فى الحياة ودرجة نضوج شخصياتهم ومدى اتزانها ، اضافة الى ان خبرات الحياة متنوعة ومتغيرة ومتجددة . وكل ذلك ينعكس على اتجاهاتهم نحو تنشئة أبنائهم وعلى أساليب التعامل بينهم ، الامر الذى يبرر ضرورة تقديم البرامج الارشادية للوالدين ليتغير اتجاهاتهم نحو أبنائهم أو تعديل سلوكهم فى التفاعل بين الوالدين والابناء .

ويذهب عبد العزيز القوصى (١٩٧٠ : ١٧٦ - ١٧٧) الى أنه من المسلم به ان الاباء قد وصلوا الى ما وصلوا اليه من خبرة بعد تجارب طويلة فى زمن غير الزمن الذى يعيش فيه أبناؤهم . ووصلوا الى خبرتهم هذه بالمحاولة وارتكاب الاخطاء ، وتصحيح هذه الاخطاء . وكثير منهم يريد مع ذلك ان يفرض نتائج خبرته على اولاده ، وينسى أنها ربما لا تلائمهم مطلقا . وبعض الاباء يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة فى حياة ابنائه . والاولاد الذين ينشئون فى هذا الجو يكبرون متعفين بالتردد وضعف الشخصية وعدم القدرة على القطع برأى فى موقف ما ، وذلك لانهم لم يتدربوا التدريب الكافى على القطع برأى لانفسهم اذ أن هناك من يفكر لهم باستمرار ، ويخشى الاباء اذا تركوا أبناءهم يفكرون لانفسهم ان يخطئوا ، ولكنهم ينسون أن المرء يتعلم من خطئه . ويكفى أن يكون موقفهم ازاءهم موقف ارشاد .

وهذه مواقف فى عملية التنشئة الاجتماعية للابناء فى الاسرة ، تنشأ معها الحاجات الارشادية للوالدين لتدريبهم ولاعادة تعلمهم ولتغيير اتجاهاتهم نحو تلك المواقف التى يعيشونها مع ابنائهم .

ولهذا كانت هناك محاولات من جانب علماء النفس للتدخل بالارشاد والتدريب للوالدين لتغيير اتجاهاتهم نحو تنشئة الابناء وما يترتب على ذلك من تحسين فى اساليب التعامل مع ابنائهم . ويعكس ذلك اهتمام بعض الباحثين

بالتحقق من فاعلية برامج للتربية الاسرية بهدف ترشيد البيئة الاسرية واساليب التعامل مع الاطفال فى الاسرة (فيولا الببلاوى ، ١٩٧٩) .

وبالرغم من ان معظم الدراسات قد ركزت على تدريب الامهات ، الا ان الباحثين لم يتوصلوا الا الى بيانات محدودة من آدبيات علم النفس المرضى للاطفال ، وحيث تفترض هذه البيانات ان اشراك الاب يعد متغيرا هاما فى فاعلية الارشاد او العلاج (ليفيت Levitt ، ١٩٧١) . ومع ذلك يذهب " مارتن " Martin (١٩٧٧) الى أن اشراك الاباء فى دراسات فى هذا المجال لم يكن عاملا له دلالة فى تحسين التفاعل بين الام والطفل وفى حل المشكلات المتعلقة بالعلاقة بينهما (عن أديسو وليبسون Adesso and Lipson ١٩٨١) .

وتتناول نظرية " ايريكسون" Erikson (١٩٦٣) الوالدية والامومة وما تفرضه من القيام بالمطالب والمهام التعلقة بالادوار الوالدية كجانب من جوانب تطور نمو الشخصية عند الوالدين ، وحيث يوضح ايريكسون ان الوالدية تنشأ كأستجابة لمايسميه " أزمة التناسلية" crisis of generativity فى مرحلة الرشد ، والتى تعبر عن نفسها فى الرغبة فى الاخرين وفى التعهد برعايتهم لتأكيد الحياة والقوة للجيل الجديد. ويذهب ايريكسون الى ان مجرد وجود الابناء فى الاسرة لا يؤدى تلقائيا الى "تناسلية حقيقية" . فبعض الناس من الاباء والامهات تنقصهم القدرة على أن ينموا كوالدين ، وعلى ان تنموا لديهم الاتجاهات والممارسات الوالدية لرعاية الابناء . ويرجع ذلك الى أسباب كثيرة ، يأتى فى مقدمتها خبرات طفولتهم التى قد تعطل من فعالية أداء أدوارهم فى الحياة الزواجية وفى القيام بمهام ووظائف الوالدين ، كما قد يعزى ذلك الى افتقارهم الى التدريبات والخبرات واكتساب المعلومات والمهارات اللازمة للقيام بالمسئولية الوالدية .

وقد يكون فى الوالدية او الامومة صعوبات او تحديات لا يستطيعون مواجهتها اوالتغلب عليها ، ومن ثم قد يلجأ بعض الاباء أو الامهات او كلاهما الى سوء المعاملة أو الاهمال او النبذ او القسوة ، او ان هذه الفئة من الامهات او الاباء أنفسهم قد يصيروا اكثر تعرضا للمرض الجسمى او الاضطراب الانفعالى او تظهر عليهم الاعراض السيكوسوماتية . ولكن معظم الامهات والاباء يستطيعون مواجهة تلك الضغوط والتحديات بدرجة اكبر او أقل من المقدرة على المواجهة . فهم غالبا يفيدون مما هو متوفر حولهم من أنظمة التكافل support systems كالاسرة والاصدقاء والجيرة أويتلقون المساعدة من بعض الاختصاصيين المهنيين كالمرشدينمثلا او من القراءة فى بعض الكتب والمقالات المتعلقة بأساليب رعاية وتنشئة الابناء . ولكى يتوصلوا الى طرق لمواجهة صراعات الادوار role conflicts (كصراع الام بين أدوارها كأم وكزوجة وكعاملة وغير ذلك من الادوار) ، فأن الامهات الناجحات يفعلن فى الغالب ما يلى : انهن يحددن موقفهن بطريقة ايجابية ، انهن واضحات من حيث أنه فى أى صراع ، تأتى مسئولياتهن الوالدية فى المرتبة الاولى ، وهن لديهن القدرة على التركيز على فئة واحدة من المسئوليات فى وقت واحد ، كما انهن ينزعن الى التوفيق بين معاييرهن (ميلر ومايرز - وولز Miller & Myers - Walls ١٩٨٣ ، مايرز- وولز Myers - Walls ١٩٨٤) .

ان كل ذلك ليبرز مدى الحاجة الملحة الى اعداد البرامج الموجهة الى التربية الوالدية او تدريب الوالدين او البرامج الارشادية اوالعلاجية التى تهدف الى تحسين عمليات التعاملوالتفاعل بين الوالدين والابناء ، مع الاهتمام بالامهات خاصة فى مثل تلك البرامج .

ويتساءل "سيد عثمان" (١٩٨٦ - ٢٣١ - ٢٣٣) كيف يكون امداد فطرة الام ، أو الام المرتقبة ، اوالفتاة التى ستكون يوما ما أما ، كيف يكون امداد فطرتهن بالخبرات الصحيحة التى تتقبلها فطرتهن السوية ، فيفدن منها سواء

الامومة ، ويفيد منها الطفل سواء الطفولة ، ويفيد منها المجتمع سواء الانسان فيه ، بل ثراء الانسان فيه ؟" ثم يجيب عن هذا التساؤل:لنبدأ بما يمكن أنتسميه التدريب على الامومة فى الامومة ، أوالتدريب فى أثناء الامومة ، قياسا على ما اصطلح على تسميته التدريب فى أثناء العمل . وما منأم مهما امتدت خبرتها فيتربية أطفالها ، أو أطفال غيرها ، الا وهى محتاجة الى مساعدة ، وتوجيه ، أو حتى على الاقل الاستشارة . فتوجيه الام وتدريبهاعلى الاساسيات فى رعاية الطفل ، بل وعلى الاساليب التى تساعدها على ان تكون أما مثرية نفسيا للطفل ، عن طريق تهيئة وسط مناسب ، وعن طريق اساليب سلوكها التى تحقق له مثل هذا الاثراء .

ويطرح "سيد عثمان" سؤالا آخرا : ولكن ماذا عن استعداد الأمملتلقى التعلم والتهيؤ للتدريب ، الا تواجه المدرب أو الموجه مشكلات لا مبالاة من جانب الام ، او مقاومة ، او حتى ازدراء او احساس بلا جدوى الامر كله؟ الحق ، ان الامر مخالف لهذا تماما . ذلك لان من جربوا توجيه الامومة وتدريبها لاحظوا استعدادا طيبا فى فطرة الام لتلقى التوجيه ،والافادة من التدريب ، كأن فىالفطرة ، فطرة الانسان عامة لا فطرة الام خاصة شوقا اليه كهداية ، والافادة من كل مافيه زيادةكفاءتها ، ودقة فعاليتها . ومن الدراساتالرائدة فىهذا الميدان التى أكدت هذا "مشروع هارفارد لما قبل المدرسة" Harvard Preschool Project. وهو دراسة طويلة الامد بدأها " هوايت" فىعام ١٩٦٥ بتمويل من الحكومة الفيدرالية الامريكية ،اذ انتهى تقرير هذه الدراسة الىأن الامهات بقطع النظر عن مستواهن الاقتصادى والتعليمى ،قادرات ، ورافبات ، فى أن يكن أكثر فاعلية مع أطفالهن (Cohen, 1974, Pines, 1971). أى أن ركنا هاما من أركان التعلم ، وهو الدافعية ، متوافر عند الامهات ، فلن نحتاج الى دافعية صناعية لتعليم الام كيف تكون أما رشيدة ، وأن تكون امامثرية نفسيا لطفلها ولهاهىذاتها على السواء.

(سيد عثمان ، المرجع السابق : ٢٢٣ ، ٢٣٣) .

ان نجاح الاباء والامهات فى أداء الادوار المتعلقة بهم كوالدين يؤثر بقوة فى فعاليتهما فى اداء ادوارهم المختلفة فى الحياة. وهذا ما توصل اليه بعض علماء النفس من أن الوالدية (وتعنى الامومة أيضا) تكاد أن تأتى فى مقدمة العوامل المسئولة عن سلامة الحياة الاسرية ، وعن نجاح الوالدين فى مهامهما ومسئولياتهما ونشاطاتهما خارج الاسرة . ففى الامومة وممارسة مهام الامومة بنجاح يكون الاشباع النفسى للام وتحقيقها لذاتها . ومن هؤلاء العلماء ، على سبيل المثال ، ما قام به "جوتمان" Güttman (١٩٧٥) من جمع لبيانات وفيرة من خلال ما استخدمه من اختبارات وما عقده من مقابلات مع اباء وامهات فى ثقافات مختلفة وذلك لتقدير تأثير الوالدية والامومة عليهم ، وحيث يقرر فى خلاصة ما توصل اليه من نتائج الى أن الوالدية والامومة هى المصدر الاكبر لشعور الاب والام بمعنى الحياة وبالرضا عنها وبالسعادة فيها .

ويتأكد كل ذلك مما شهدته الولايات المتحدة الامريكية من زيادة ملحوظة ومضطردة سواء فى بناء البرامج الارشادية الموجهة الى تحسين الفعالية الوالدية وما تتضمنه من معرفة واتجاهات ومهارات أو فى تنوع وتعدد البحوث العلمية التى تدرس فعالية هذه البرامج الارشادية فى تحقيق التغيير أو التحسين فى الاتجاهات والممارسات الوالدية وفى عائد هذا التغيير أو التحسين على الابناء فى جوانب متعددة من شخصيتهم وفى الحالات السوية والمرضية . وفى حدود علم الباحثة تكاد مثل هذه الدراسات والبحوث فى عالمنا العربى عامة ، وفى دول مجلس التعاون الخليجى خاصة، أن تغيب من ساحة الاهتمام العلمى ومن اتجاهات البحث العلمى عند العلماء والباحثين العرب ، وخاصة اذا وضعنا فى الحسبان القيمة العملية والتطبيقية المباشرة لهذه الدراسات والبحوث ، اضافة الى منهجها

مصطلحات الدراسة :

١ - البرنامج الارشادى :

البرنامج الارشادى هو برنامج مخطط منظم فيضوء أسس علمية لتقديم الخدمات الارشادية المباشرة وغير المباشرة فرديا وجماعيا لجميع من تضمهم المؤسسة او الجماعة بهدف مساعدتهم فى تحقيق النمو السوى والقيام بالاختيار الواعى المتعقل ولتحقيق التوافق النفسى داخل الجماعة وخارجها (حامد زهران ، ١٩٨٠ : ٤٣٩) .

اما البرنامج الارشادى للامهات فى هذه الدراسة ، فهو اسلوب ارشادى جماعى وفردى ، لتغيير اتجاهات الامهات نحو مواقف تنشئة الابناء واكسابهن المعلومات والمهارات الملائمة لنمو شخصية الطفل والمتفقة مع الحقائق السيكولوجية والتربوية (جوردون Gordon ١٩٧٠ ، عن فيولا الببلاوى ، ١٩٧٩) .

٢ - الاتجاهات الوالدية :

الاتجاه هو مفهوم يعبر عن محصلة استجابات الفرد نحو موضوع ذى صبغة اجتماعية ، وذلك من حيث تأييد الفرد لهذا الموضوع أو معارضته له (محمد عماد الدين اسماعيل وآخران ، ١٩٦٧ : ٤٧) . وفى تعريف عبد السلام عبد الغفار (١٩٧٦ : ٢٣٢) فان الاتجاه هو عبارة عن تنظيم نفسى يكتسبه الفرد من الخبرات التى يمر بها ويحدد الاتجاه نشاط الفرد بصفة مستمرة حيال مجموعة من المثيرات التى ترتبط بموضوع الاتجاه .

وتعنى الاتجاهات الوالدية ، ومنها الاتجاهات الامومية ، المحصلة المركبة من المعرفة والمشاعر والنزوع لدى الامهات والمتعلقة بأساليب تنشئة الابناء فى المواقف التربوية المختلفة التى تنشأ اثناء تفاعلهن وتعاملهن مع أبنائهن وذلك كما تقاس بالمقياس المستخدم فى الدراسة الحالية .

٣ - تغيير الاتجاهات :

وهي عملية تنظيم الشروط او المؤثرات التى تساعد على احداث تغيرات فى الاتجاه نتيجة التعرض لهذه الشروط او الظروف المؤدية للتغيير Changing conditions ، وحيث يتيسر فى علم النفس من أدوات القياس ومن الطرق العملية ما يحقق هذه التغيرات فى الاتجاهات لدى الافراد أو الجماعات ، وللكشف عن العوامل السببية فى تغير الاتجاهات . (جيلفورد Guilford ، ١٩٦٥ : ٢١٦ - ٢١٧) .

حدود الدراسة :

تتحدد الدراسة الحالية ونتائجها بموضوع البحث ومتغيراته ، وهو فعالية برنامج ارشادى للامهات فى تغير اتجاهاتهن نحو مواقف تنشئة أطفالهن فى سلطنة عمان ، كما تتحدد هذه الدراسة بالمنهج المتبع فى البحث وهو المنهج التجريبى ، وبطبيعة وخصائص العينة المستخدمة فيها وكذلك بطبيعة الادوات المستخدمة والاساليب الاحصائية لمعالجة البيانات التى تجمعها الباحثة من هذه العينة .

فمن حيث العينة ، تتكون عينة البحث فى صورتها النهائية الخاضعة للاجراءات التجريبية من ٨٤ من الامهات العمانيات ، تم توزيعهن الى أربع مجموعات فرعية وهما : مجموعتان تجريبيتان ، ومجموعتان ضابطتان .

ومن حيث الأدوات المستخدمة ، فتتمثل فى "مقياس اتجاهات الأمهات نحو مواقف تنشئة الأطفال" (مقياس ت آ ن) ، وهو من اعداد الباحثة واستخدمته كأداة لجمع المعلومات من هذه المجموعات الاربعة للعينة ، كما تتمثل هذه الادوات فى بنا ء الباحثة لبرنامج ارشادى موجه الى تغيير

اتجاهات هؤلاء الامهات نحو مراقف تنشئة أطفالهن وكما تقاس بالمقيـــاس المستخدم .

ومن حيث المتغيرات التى يتناولها البحث ، يتحدد التصميـــــم التجريبى للبحث على أساس أن المتغير المستقل (المتغير التجريبـــى) هو البرنامج الارشادى الموجه للامهات والذى تسعى الدراسة الحالية الـى بحث مدى تأثيره وفعاليته فى تغيير اتجاهات عينة من الامهات فى سلطنـة عمان نحو مواقف تنشئة أبنائهن ، ويعنى ذلك ان المتغير التابـــع يتمثل فى تغير اتجاهات هؤلاء الامهات وكما تقاس بمقياس ("ت أ ن ").

أما حدود البحث فيما يتعلق بالاسلوب الاحصائى المستخدم ، فانـــه يتفق مع طبيعة التصميم التجريبى للبحث من حيث تأثير متغير مستقـــل على متغيـر تابع . ولهذا فقد استخدمت الباحثة الطرق الاحصائية الملائمة الخاصة ببحث دلالة الفروق بين المجموعات المستخدمة فى الاجـــراءات التجريبية ، ويتمثل ذلك فى استخدام اختبار "ت" ، وتحليل التبايـن شنائى الاتجاه (٢ x ٢) واختبار " توكى" لتبين اتجاه الفروق ذات الدلالة الاحصائيـة .